لما استطاعت أن تمكث فى الأرض — ومن ينظر إليها فى حاضره نظرة زراية وتحقير كمن ينظر شزراً إلى شيخ قوست ظهره السنون، ومشى يتوكأ على عصاه ، كأن لم يكن هذا الشيخ وافر الفتوة ناضر الشباب ، فى عهد طوت صفحته الأيام ! ...

مخطىء من يدير فى خلده أن فكرة جديدة مما يستحدثه العصر الحاضر كان من الممكن أن تحيا فى العصور الخالية ، وأن تكون أصلح لها مما شاع فيها من فكرات ، فكل فكرة تحدث هى بنت العصر ، وهى وحى البيئة ، وجوهر قيمتها أنها تخدم مجتمعها الذى نبتت فيه ، وتبلغ غرضها الذى هدفت إليه ! ...

أى سمع لاينبو اليوم عن كلمة « الاسترقاق » ؟... وأى شعور يستطيب اليوم استعباد الإنسان أخاه الإنسان ؟ ... ألسنا نرى فى ذلك ضربا من الوحشية تأباه الكرامة البشرية ؟ ... أو لسنا نعد افتئاتا على الحق الطبيعى وخروجا على العدالة والمساواة ؟ ... ولكن التاريخ فى أسانيده القويمة يثبت لنا أن هذا الاسترقاق البغيض كان فى عهود سوالف من العمد الوطيدة للأنظمة التى قام عليها صرح المجتمع القديم ، وبفضل الاسترقاق تقدمت البشرية خطوات فى سبيل العمران ردحا من الزمان . وكذلك الدراسة الفلسفية للطبائع البشرية والمجتمع الإنسانى تنقل إلينا أن بعض